سلسلة مؤلفات الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

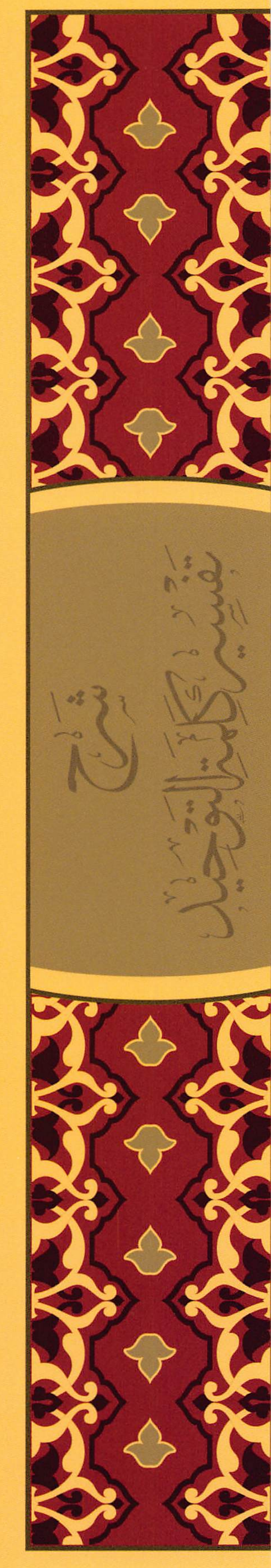
شرح
تفسير كلمة التوحيد

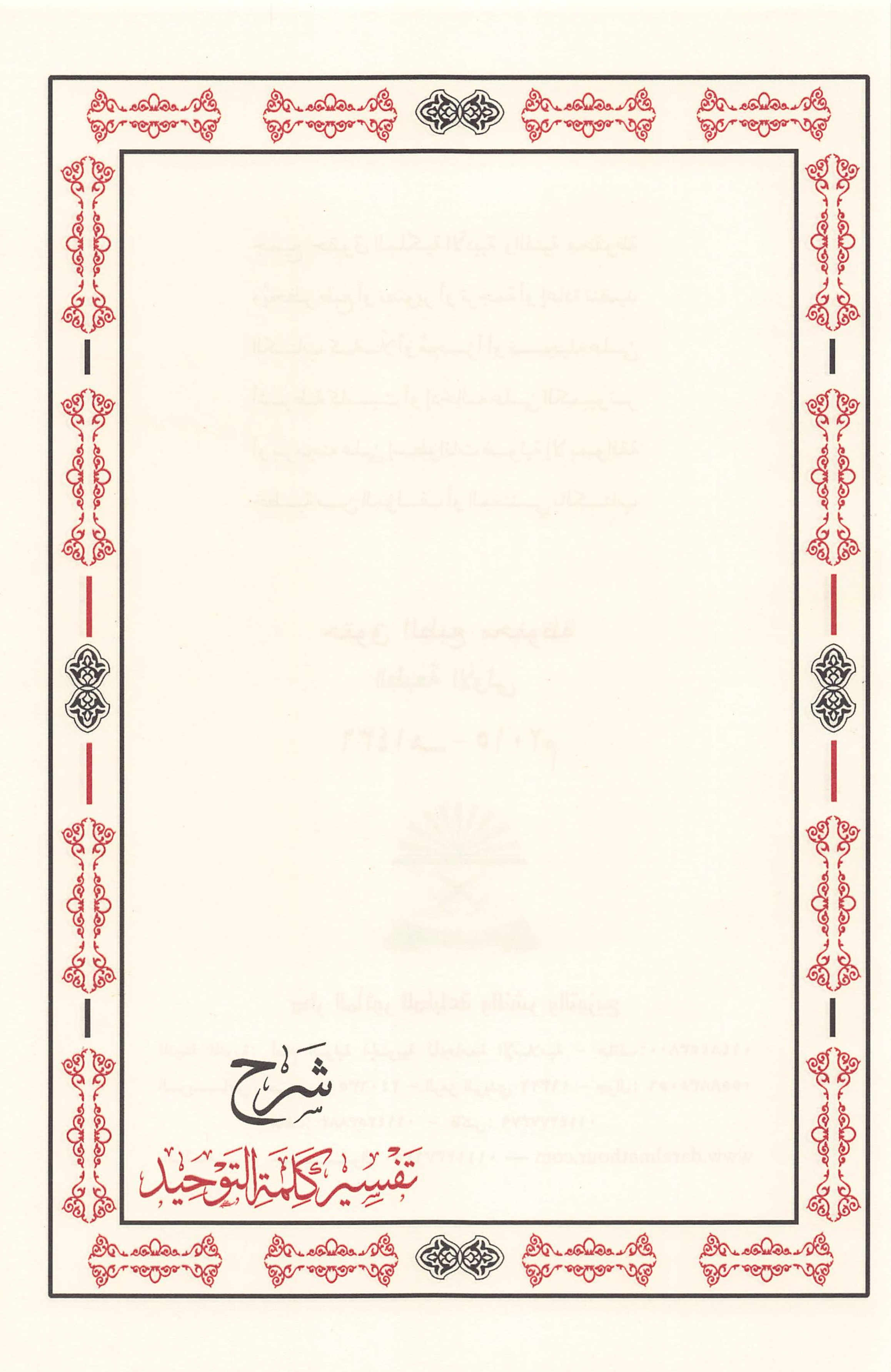
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

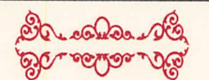
شرح معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

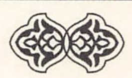
اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
د. عبد السلام بن عبد الله السليمان

دار المأثور




شرح
تفسير كلمة التوحيد







الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



دار المأثور للطباعة وللنشر والتوزيع

المدينة المنورة: أمام البوابة الجنوبية للجامعة الإسلامية - هاتف: ٠١٤٨٤٥٣٨٠٠

الرياض: ص ب : ٢٤٠٦٣٥ - الرمز البريدي ١١٣٢٢ - جوال: ٠٥٥٨٨٣٥٠٥٦

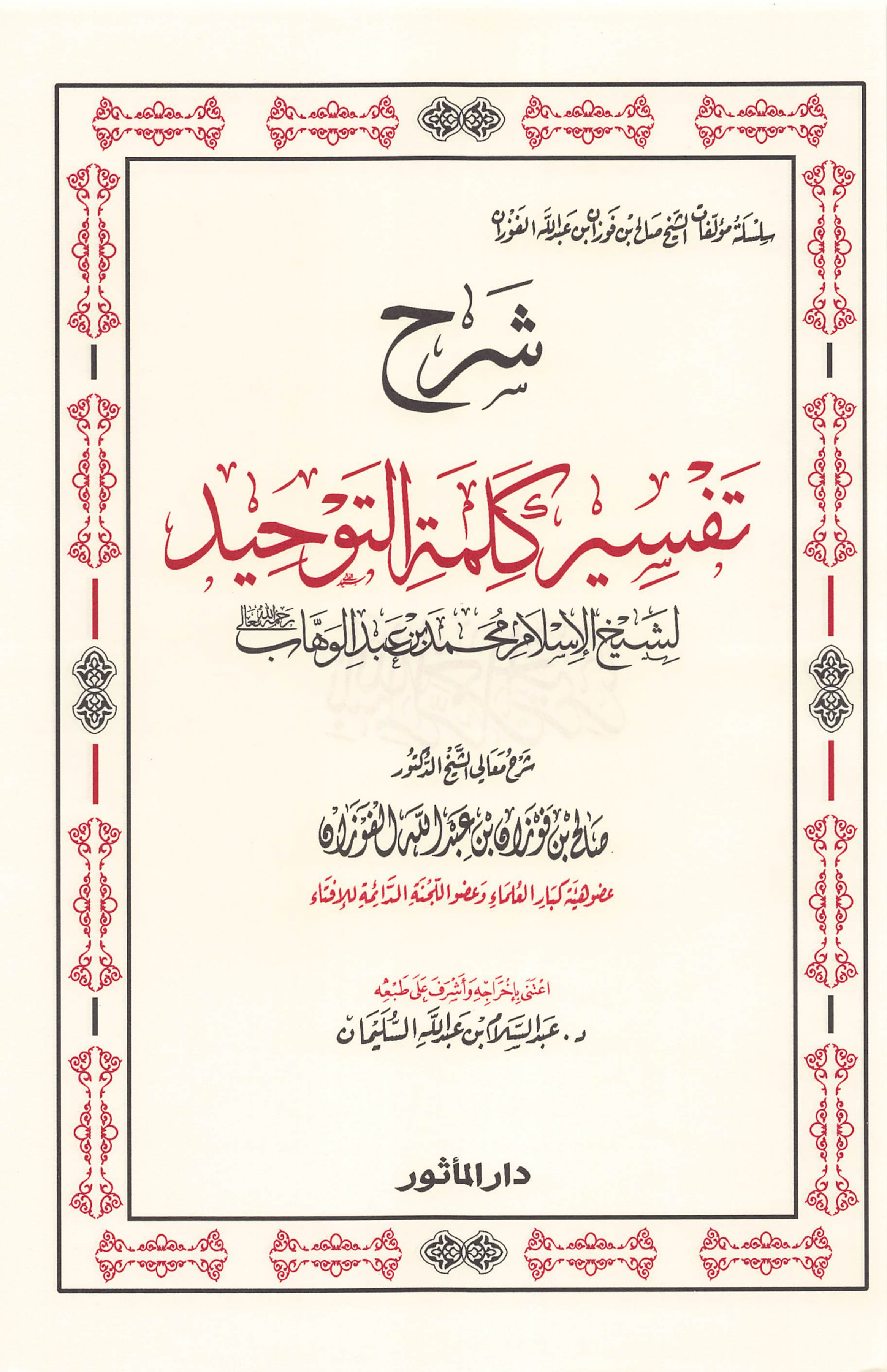
هاتف: ٠١١٤٢٥٣٨٨٣ - فاكس: ٠١١٤٢٧٧٣٧٩

القاهرة: جوال ٠١١١٢٣٧١٢٨٠ — www.daralmathour.com









سلسلة مؤلفات الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

شرح

تفسير كلمة التوحيد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

شرح معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

د. عبد السلام بن عبد الله السليمان

دار المأثور


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُئل الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه اللَّه تعالَى- عن معنى (لا إله إلا اللَّه)، فأجاب بقوله: اعلم رحمك اللَّه تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام [١].

---

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وعلى آله وأصحابه، وبعد:

كلمة (لا إله إلا اللَّه) كلمة عظيمة خفيفة على اللسان وهي عظيمة فِي الْمِيزان؛ لأنها فِي الْحَقيقة هي مضمون الإسلام، ولكن هذه الكلمة ليست مُجرد لفظ بل لَها معنى ولَها مقتضى، ولَها أركان ولَها شروط لابد من معرفتها، ولو كان القصد مُجرد التلفظ بِهَا صار كُل من يقولها مسلمًا؛ لأنه سهل أن يقول: (لا إله إلا اللَّه) ويصير مسلمًا ولو لَمْ يعمل شيئًا، فهذه كلمة عظيمة ولكن لَها معنى، ولَها مقتضى، ولَها أركان، ولَها شروط لابد من تَحقيقها، ولِهذا فإنها لا تنفع إلا مع وجود هذه الْمَذكورات.

وهذه الكلمة لَها أسماء، منها أنَّها كلمة الإخلاص؛ لأنها تنفي الشرك باللَّه ﷻ، وتُثبتُ العبادة للَّه ﷻ، لذلك سميت كلمة الإخلاص، أي: إخلاص التوحيد، وإخلاص العبادة، وتَجنب الشرك باللَّه ﷻ.

وتسمى كلمةَ التقوى، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، وكلمة

التقوى، هي: (لا إله إلا اللَّه) لأنها تقي من قالَها مُخلصًا للَّه عَزَّ وَجَلَّ تقيه من النار؛ ولأنها تقتضي أعمال البر؛ لأن التقوى هي أعمال البر والطاعات، هذه الكلمة تقتضي كل أعمال البر والطاعة، فهي كلمة التقوى.

وأيضًا هي العروة الوثقى، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(يكفر بالطاغوت، ويؤمن باللَّه) هذا هو معنى (لا إله إلا اللَّه)، أنه يكفر بالطاغوت هذا هو معنى (لا إله)، ويؤمن باللَّه هذا هو معنى (إلا اللَّه) فمعنى يكفر بالطاغوت ويؤمن باللَّه هو مقتضى (لا إله إلا اللَّه) ولذلك سميت العروة الوثقى.

وأيضًا هي كما قال الشيخ: الفارقة بين الكفر والإسلام، فمن قالَها عالـمًا بِمعناها، عاملًا بِمقتضاها صار مسلمًا، ومن أبى أن يقولها، أو قالها ولكن لَم يعلم معناها، أو قالها ولَم يعمل بِمقتضاها، لَمْ يكن مسلمًا حَتَّى يعرف معناها ويعمل بِمقتضاها ظاهرًا وباطنًا.

هذه أسماء لـ(لا إله إلا اللَّه): كلمة الإخلاص، كلمة التقوى، العروة الوثقى، الكلمة الفاصلة بين الكفر والإسلام؛ لأن كثيرًا من الناس لا يهتمون بِمقتضى هذه الكلمة، مع أنَّهم يُكثرون من النطق بِهَا وذكر اللَّه بِهَا كالصوفية، فلهم أوراد صباحية ومسائية فيها (لا إله إلا اللَّه) آلاف المرات، ولكنهم يدعون غير اللَّه، فهي لا تفيدهم شيئًا؛ لأنَّهم لَمْ يعملوا بِمقتضاها، فهم يقولونها، ويقرءونها فِي أورادهم ويكررونها، ولكن يدعون الْمَوتى، ويستغيثون بالمقبورين، ويطيعون مشايخ الطرق الذين يشرِّعون لَهم عبادات لَمْ يشرعها اللَّه ولا رسوله، فلا يتلقون التشريع عن الرسول ﷺ، وإنَّما يتلقونه عن مشايخهم، فهؤلاء يكثرون النطق بـ(لا إله إلا اللَّه) صباحًا ومساءً ولا يُغني عنهم نطقهم بِهَا شيئًا، ولا يفيدهم شيئًا.

وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي الَّتِي جعلها إبراهيم باقية فِي عقبه لعلهم يرجعون [٢].

ومن الصوفية من لا ينطق بِهَا كاملة، وهؤلاء بزعمهم أنَّهم صاروا خواص الخواص، لا يقولون: لا إله إلا اللَّه، بل يقولون: اللَّه اللَّه، هذا ذكرهم، يرددون: اللَّه اللَّه اللَّه، مع أنه لابد أن تأتي بِجملة مفيدة، أما اللَّه اللَّه، فهو اسم مُجرد فهو لا يفيد شيئًا، وبعضهم لا يقول لفظ الجلالة بل يقول: هو هو هو، ضمير غائب، وهذا لا يفيد شيئًا، لأنه تلاعب بهذه الكلمة، فيجب التنبه لِهذه الأمور؛ لأن الشيطان لَمَّا علم أن هذه الكلمة هي كلمة الإسلام، وكان عند الناس رغبة فِي النطق بِهَا والذكر بِهَا، صرفهم عنها بهذه الحيل، وأتى لَهم بهذه الوساوس، وقال لَهم: قولوا: اللَّه اللَّه، أو قولوا: هو هو، وبعضهم لا يتلفظ لا باللَّه ولا بهو، وإنَّما يقولها بقلبه فقط، كل هذا تلاعب من الشيطان، فيجب التنبه لِهذا.

ومن الناس من يُغفِله الشيطان عن قول: (لا إله إلا اللَّه)، فلا يقولها إلا نادرًا، ولا يذكر اللَّه بِهَا إلا قليلًا ولا يكررها مع أنَّها ثقيلة فِي الميزان، كما جاء فِي (كتاب التوحيد) أنَّها لو وضعت فِي كفة، ووضعت السموات ومن فيها غير اللَّه والأرض ومن فيها فِي كفة لَمالت بهن لا إله إلا اللَّه، فهي تثقل بِمن فِي السموات ومن فيها غير اللَّه والأرض وبِمن فيها، فهي كلمة عظيمة، ولكن قلَّ من يتنبه لَها ويستحضرها، ويعوِّد لسانه على النطق بِهَا وتكرارها، إلا من وفقه اللَّه سبحانه وتعالى.

[٢] وهذه الكلمة (لا إله إلا اللَّه) هي الَّتِي عناها إبراهيم فِي قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] هذا هو معنى (لا إله إلا اللَّه)، ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ هذا معنى النفي (لا إله)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هذا معنى الإثبات (إلا اللَّه) ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- جعل هذه

وليس الْمُراد قولها باللسان مع الْجَهل بِمعناها [٣].

الكلمة ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ فِي ذريته، فلا يزال فيهم من يقول: (لا إله إلا اللَّه) لَمْ يتركوها كلهم، ولَم يشركوا كلهم، بل فيهم من قالها واستقام عليها، ولو كان عددًا قليلًا أو أفرادًا، فلما بُعث مُحَمَّد ﷺ، بُعث بهذه الكلمة، قال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حَتَّى يقولوا: لا إله إلا اللَّه؛ فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلا بِحقها وحسابهم على اللَّه**»(١).

فالرسول بُعث بـ(لا إله إلا اللَّه) وهي الكلمة التي جعلها جده إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- باقية فِي عقبه، وكان مُحمد ﷺ من عقب إبراهيم، وبعثه اللَّه بها يدعو الناس إليها ويُقاتلهم عليها، فهي كلمة عظيمة، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إليها، وببعثة مُحمد ﷺ رجع إليها الكثير من ذرية إبراهيم، فالرسول ﷺ بُعث بهذه الكلمة والدعوة إليها وتَحقيقها والعمل بها، بل إن كل الرسل بعثوا بها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

هذا معنى (لا إله إلا اللَّه) ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ هذا معنى النفي والإثبات ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ الأنبياء والرسل ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

كل الرسل بعثوا بـ(لا إله إلا اللَّه)، ولكن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- جعلها كلمة باقية فِي عقبه إلَى أن تقوم الساعة، ولا يزال فِي ذرية إبراهيم من يتوارث هذه الكلمة علمًا وعملًا وتَحقيقًا، وإن أعرض عنها الأكثرون.

[٣] ليس الْمَقصود قول: (لا إله إلا اللَّه) باللسان فقط من غير فهم لِمعناها،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٠)، ومالك فِي الْمُوطأ (١/ ٢٦٩)، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥/ ١٤) من حديث أبِي هريرة.

لابد أن تتعلم ما معنى (لا إله إلا اللَّه) أما إذا قلتها وأنت لا تعرف معناها، فإنك لا تعتقد ما دلت عليه، فكيف تعتقد شيئًا تَجهله، فلابد أن تعرف معناها حَتَّى تعتقده، تعتقد بقلبك ما يلفظ به لسانك، فلازم أن تتعلم معنى (لا إله إلا اللَّه)، أما مُجرد نطق اللسان من غير فهم لِمعناها فهذا لا يفيد شيئًا.

أيضًا لا يكفي الاعتقاد بالقلب ونطق اللسان، بل لابد من العمل بِمقتضاها، وذلك بإخلاص العبادة للَّه، وترك عبادة مَن سواه ﷻ، (فلا إله إلا اللَّه) كلمة نطق وعلم وعمل، ليست كلمة لفظ فقط.

أما الْمُرجئة فهم يقولون: يكفي التلفظ بـ (لا إله إلا اللَّه)، أو يكفي التلفظ بِهَا مع اعتقاد معناها، والعمل ليس بلازم، من قالها ولو لَمْ يعمل شيئًا من لوازمها هو من أهل الْجَنة، ولو لَمْ يصلِّ، ولَم يزكِّ، ولَم يَحج، ولَم يَصُم، ولو فعل الفواحش والكبائر والزنا والسرقة وشرب الخمر، وفعل ما يريد من الْمَعاصي، وترك الطاعات كلها؛ لأنه تكفيه (لا إله إلا اللَّه) عندهم، هذا مذهب الْمُرجئة، الذين يُخرجون العمل من حقيقة الإيْمان، ويعتبرون العمل إن جاء فبها ونعمت، وإن لَمْ يَجِئ، فإنها تكفي (لا إله إلا اللَّه) عندهم، ويستدلون بأحاديث تفيد أن من قال: لا إله إلا اللَّه، دخل الجنة، ولكن الرسول ﷺ ما اقتصر على هذه الأحاديث، فالرسول ﷺ له أحاديث أخرى تقيد هذه الأحاديث، ولابد أن تَجمع بين كلام الرسول ﷺ بعضه إِلَى بعض، لا أن تأخذ منه طرفًا وتترك طرفًا؛ لأن كلام الرسول ﷺ يفسر بعضه بعضًا، ويبين بعضه بعضًا، أما الذي يأخذ طرفًا ويترك طرفًا فإنه من أهل الزيغ الذين يتبعون ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] الرسول ﷺ قال: **«من قال: لا إله إلا اللَّه وكفر بِمَا عُبد من دون اللَّه»**(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٢) من حديث طارق بن أَشْيَم.

وهذا حديث صحيح، فلماذا غفلتم عنه؟ وقال ﷺ: **«فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»**(١).

أما الذي يقول: لا إله إلا الله، ولا يكفر بِما يُعبد من دون الله، ويدعو الأولياء والصالِحين، فإن هذا لا تنفعه (لا إله إلا الله) لأن كلام الرسول ﷺ يُفسر بعضه بعضًا، ويقيد بعضه بعضًا، فلا تأخذ بعضه وتترك بعضه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] يأخذون الذي يصلح لَهم، ويتركون الذي لا يصلح لَهم.

ويقولون: استدللنا بالقرآن، نقول: ما استدللتم بالقرآن، القرآن إن قال كذا فقد قال كذا، فلماذا تأخذون بعضًا وتتركون بعضًا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧]، الْمُحكم والْمُتشابه، فيردون المتشابه إِلَى الْمُحكم، ويفسرونه به ويقيدونه به، ويفصِّلونه، أما أنهم يأخذون الْمُتشابه ويتركون الْمُحكم، فهذه طريقة أهل الزيغ، فالذين يأخذون بِحديث أن من قال: **«لا إله إلا الله دخل الجنة»**(٢)، ويقتصرون على هذا، ولا يوردون الأحاديث الواضحة الَّتِي فيها القيود، وفيها التفصيل، فهؤلاء أهل زيغ.

فيجب على طالب العلم أن يعرف هذه القاعدة العظيمة؛ لأنها هي جماع الدين وهي أساس الْمِلة، ليس الْمَقصود أنك تأخذ آية أو حديثًا وتترك غيره، بل المقصود أنك تأخذ القرآن كله، وتأخذ السنة كلها، وكذلك كلام أهل العلم، العالم إذا قال كلامًا لا تأخذه وحده حَتَّى ترده إِلَى كلامه الكامل، وتتبع كلامه فِي مؤلفاته؛ لأنه يقيد بعضه بعضًا؛ لأنَّهم على سنن كتاب الله وسنة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤) و(٦٨٦)، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٣٢٤)، والبيهقي فِي الأسماء والصفات (٣٠٣)، والطبراني فِي مسند الشاميين (٢٤٤٩)، والبزار فِي مسنده (٢٨٥٤) عن حذيفة رضي الله عنه.

فإن الْمُنافقين يقولونها وهم تَحت الكفار ﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] [٤].

رسوله، فترد الْمُطلق إِلَى الْمُقيد من كلامهم، فطالب العلم يَجب عليه أن يأخذ هذه القاعدة معه دائمًا، ويَحذر من طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون الذي يصلح لَهم، ويتركون الذي لا يصلح لَهم من الكتاب، ومن السنة، ومن كلام أهل العلم، ويبترون النُّقول، ويتركون باقي الكلام، أو يتركون الكلام الثاني الذي يوضحه، ويأخذون الكلام المشتبه ويتركون الكلام البين، كثير من الذين يدَّعون العلم غفلوا عن هذا الشيء، إما عن قصد التضليل، وإما عن جهل، فيجب معرفة هذه الأمور، وأن تكون أصولًا وقواعد عند طالب العلم.

[٤] الْمُنافقون الذين هم ﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر؛ لأنه لَمَّا هاجر النَّبِي ﷺ إِلَى الْمَدينة وصار حوله الْمَهاجرون والأنصار وقوي الإسلام، وانتصر الدين فِي بدر، تلك الواقعة العظيمة الَّتِي طار خبرها فِي المشارق والمغارب؛ لأن النَّبِي انتصر على صناديد قريش، وقريش كانت تاج العرب، وكان الناس ينظرون إليها، فلما انتصر عليها ﷺ فِي بدر، وقتل رءوسها، عند ذلك قال الْمُنافقون: نَحن وقعنا فِي الْمَدينة بين الْمُهاجرين والأنصار ومعهم الرسول، وماذا نعمل؟ لجئوا إِلَى حيلة، وهي أنَّهم يُظهرون الإسلام من أجل أن يعيشوا مع المسلمين ويُحافظوا على دمائهم وأموالِهم، والرسول ﷺ ليس له إلا الظاهر، لا يدري عن القلوب إلا اللَّه ﷻ، فمن أظهر الإسلام قبلناه منه حَتَّى يظهر منه ما يُخالف ظاهره.

وقالوا: (لا إله إلا اللَّه) وشهدوا للرسول بالرسالة ظاهرًا كما قال اللَّه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [الْمُنافقون: ١-٢].

جُنَّة: يعنِي سترة يستترون بِهَا، فالْمُنافقون دخلوا فِي الإسلام -لَمَّا رأوا قوة

مع كونهم يصلون ويتصدقون [٥].

ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومَحبتها ومَحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته [٦].

المسلمين -ظاهرًا، وبقوا على الكفر باطنًا والعياذ باللَّه، ولذلك جعلهم اللَّه فِي الدرك الأسفل من النار تَحت الْمُشركين، عبدة الأوثان، تَحت الْمَلاحدة، لعظيم جُرمهم وخداعهم ومكرهم ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

فالْمُنافق يقول: لا إله إلا اللَّه، وهو فِي الدرك الأسفل من النار، فكيف تقولون: إن (لا إله إلا اللَّه) يكفي مُجرد التلفظ بِهَا، وهؤلاء الْمُنافقون فِي الدرك الأسفل من النار، وهم يقولون: (لا إله إلا اللَّه)؟! فدل أن مُجرد النطق بِهَا لا يكفي إلا باعتقاد القلب وعمل الجوارح.

[٥] الْمُنافقون يصلون ويتصدقون ويَخرجون للجهاد مع الرسول ﷺ فِي الظاهر، ولكنهم منافقون فِي قلوبهم، وهم يقولون: (لا إله إلا اللَّه) ولَم تنفعهم.

[٦] الْمُراد من (لا إله إلا اللَّه): قولها باللسان مع اعتقاد القلب بِهَا، والعمل بِمقتضاها، وموالاة أهلها ومعاداة من خالفها، وهذا هو الْحُب فِي اللَّه، والبغض فِي اللَّه، هذه كلها من مقتضى (لا إله إلا اللَّه) ولِهذا قالوا: (لا إله إلا اللَّه) لَها سبعة شروط، نَظمها بعض العلماء بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع   مَحبة وانقياد والقبول لَها

زاد الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرطًا ثامنًا فقال:

وزيد ثامنها الكفران منك بِمَا   سوى الإله من الأشياء قد أُلها

وركنا (لا إله إلا اللَّه) هما النفي والإثبات، فلا يكفي النفي، ولا يكفي

كما قال النَّبِي ﷺ: «من قال: لا إله إلا اللَّه، مُخلصًا»، وفِي رواية: «خالصًا من قلبه»، وفي رواية: «صادقًا من قلبه»، وفي حديث آخر: «من قال: لا إله إلا اللَّه، وكفر بِما يُعبد من دون اللَّه» [٧].

إلَى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة [٨].

الإثبات، بل لابد من الاثنين.

[٧] **«من قال: لا إله إلا اللَّه مُخلصًا»** هذا قيد، لَم يقتصر على قوله: **«من قال لا إله إلا اللَّه»** بل قال: **«مُخلصًا من قلبه»**[١]، لا يكفي أنه يقول: (لا إله إلا اللَّه) حتى يكون ذلك خالصًا من قلبه؛ لئلا يكون من الْمُنافقين الذين يقولونها بألسنتهم ولكن لا يقولونها بقلوبهم.

و**«من قال: لا إله إلا اللَّه، وكفر بِمَا عُبد من دون اللَّه»**[٢] هذا قيد عظيم وهو قوله: **«وكفر بِمَا عُبد من دون اللَّه»** لأن كثيرًا يقولون: (لا إله إلا اللَّه) ولا يتركون عبادة القبور، ودعاء الأموات، والاستغاثة بِهم، وطلب الحاجات من غير اللَّه، هؤلاء لا تنفعهم (لا إله إلا اللَّه)؛ لأنَّهم لَمْ يكفروا بِمَا يُعبد من دون اللَّه.

[٨] أكثر الناس يَجهلون هذه الشهادة يَحسبونها مُجرد لفظ يُقال باللسان، وكثير من العلماء لا يفهمون معنى (لا إله إلا اللَّه) وهم علماء فِي الفقه، علماء فِي النحو، علماء فِي الْحَديث، ولكن أكثرهم ليس له عناية بالتوحيد، أو يتعلم عقيدة الأشاعرة وعلماء الكلام، الَّتِي تقتصر على توحيد الربوبية.

ويقولون: (لا إله إلا اللَّه) ويفسرونها: لا خالق إلا اللَّه، لا يقدر على الاختراع إلا اللَّه، هذا تفسيرهم لَها، فهم لا يتعدُّون توحيد الربوبية، ويفسرون

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٩٧)، والطحاوي فِي شرح مشكل الآثار (٤٠٠٣) من حديث أبِي موسى الأشعري.

(٢) تقدم تَخريْجُه فِي الصفحة (٩).

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات [٩]. نفي الإلهية عما سوى اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من المرسلين حَتَّى مُحَمَّد ﷺ، ومن الْمَلائكة حَتَّى جبريل، فضلًا عن غيرهما من الأنبياء والصالِحين، وإثباتها للَّه عَزَّ وَجَلَّ [١٠].

(لا إله إلا اللَّه) بِمَا لا يزيد عن توحيد الربوبية، ولا يتعرضون لتوحيد الألوهية الذي هو مطلوب لـ (لا إله إلا اللَّه).

اقرءوا عقائد المتكلمين تَجدون أنَّهم يركزون على إثبات وجود اللَّه، كأن اللَّه فيه شك، والاعتراف بأنه هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت . . . إِلَى آخره، ولا يذكرون العبادة، ولا يذكرون الألوهية أبدًا، هذا لا يزيد على دين الْمُشركين الذين قال اللَّه فيهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس: ٣١]. يثبتون الرب ولكن يعبدون غيره، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨].

ما يقولون: إنهم يَخلقون ويرزقون، ولكن يقولون: إنهم شفعاء وسطاء لنا عند اللَّه، فالأمر خطير جدًّا، فهناك لبسٌ كثير فِي هذا الأمر، وضَلَّ كثير من الناس بِهذا اللبس، الذي يُخلص التوحيد ويبين معنى (لا إله إلا اللَّه) يقولون: هذا يُكفر المسلمين، نَحن نبرأ إِلَى اللَّه من الذي يكفر المسلمين، نَحن ما نكفر إلا من كفره اللَّه ورسوله، فالذي لا يحقق (لا إله إلا اللَّه) قد كفره اللَّه ورسوله.

[٩] هذه الكلمة لَها ركنان: هما نفي وإثبات، فلا يكفي النفي، ولا يكفي الإثبات، بل لابد من الاثنين مقترنين.

كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ما قال: (يكفر بالطاغوت) فقط، بل قال: (ويؤمن باللَّه)، ولا قال: من (يؤمن باللَّه) ولَم يذكر الكفر بالطاغوت، لابد من الاثنين.

[١٠] (نفي الإلهية عن كل ما يُعبد من دون اللَّه) من الْمُخلوقات، ولو كان

إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية الَّتِي أثبتها اللَّه تعالَى لنفسه، ونفاها عن مُحَمَّد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لَهم منها مثقال حبة من خردل [١١].

من أصلح الصالِحين، فأصلح البشر هو مُحَمَّد ﷺ، وأصلح الْمَلائكة هو جبريل، ومع هذا لو أن أحدًا يعبد جبريل أو يعبد مُحمدًا، فإنه يكون مشركًا خالدًا فِي النار؛ لأن اللَّه لا يرضى أن يُشرَك معه أحد، لا من الْمَلائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الصالِحين، ولا من الأشجار والأحجار، ولِهذا يقول: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] (أحدًا) هذا عام، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]. (شيئًا) أيّ شيء، هذا نفي عام، والْمَنفي نكرة، والنكرة فِي سياق النفي تعم كل شيء.

[١١] الألوهية معناها العبادة، ومن هنا غلط كثيرون فِي تفسير (لا إله إلا اللَّه) وفسروها بغير تفسيرها ومن ذلك:

١- تفسير أهل وحدة الوجود لكلمة التوحيد:

فأهل وحدة الوجود -ابن عربي وأتباعه-، يقولون: (لا إله إلا اللَّه) لا معبود إلا اللَّه، أو لا إله موجود إلا اللَّه، معنى هذا أن كل الْمَعبودات كلها هي اللَّه؛ لأن عندهم أن الوجود لا ينقسم بين خالق ومَخلوق، هو كله هو اللَّه، هذا معنى أنَّهم أهل وحدة الوجود؛ يَجعلون الوجود يتحد ولا ينقسم، كله هو اللَّه، مهما عبد الإنسان من شيء فإنه قد عبد اللَّه، الذي عبد البقر، والذي عبد الصنم، والذي عبد الحجر، والذي عبد البشر، والذي عبد الْمَلائكة، كلهم يعبدون اللَّه؛ لأن اللَّه هو الوجود الْمُطلق.

والذي يقول: إن الوجود ينقسم إِلَى قسمين إِلَى خالق ومَخلوق، يقولون عنه: إن هذا مشرك، فلا يكون موحدًا عندهم إلا من قال: إن الوجود شيء واحد هو اللَّه، فمهما عبدت من هذا الكون من أشجار أو أحجار أو أصنام أو طواغيت فإنك تعبد اللَّه؛ لأن هذا هو اللَّه، وبِهذه الْمُناسبة فإنه يغلط

بعض العوام، يقول: ولا معبود سواك، ولكن لو قال: لا معبود بِحق سواك، وهذا يوافق قول أهل وحدة الوجود فلو زاد كلمة (بحق) صح؛ لأن ما سواه معبود بالباطل قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

٢- تفسير علماء الكلام لكلمة التوحيد:

علماء الكلام يقولون: (لا إله إلا اللَّه): لا قادر على الاختراع والخلق والتدبير والإيجاد إلا اللَّه.

وهذا غير صحيح، هذا يوافق دين الْمُشركين، فالْمُشركون يقولون: لا يقدر على الخلق إلا اللَّه، لا يُحيي إلا اللَّه، لا يُميت إلا اللَّه، لا يرزق إلا اللَّه، وهذا توحيد الربوبية.

٣- تفسير لا إله إلا اللَّه عند الجَهمية والمُعتزلة، ومن سار على نهجهم هو نفي الأسماء والصفات؛ لأن من أثبت الأسماء والصفات عندهم يكون مشركًا، والتوحيد عندهم هو نفي الأسماء والصفات.

٤- تفسير الحزبيين والإخوانيين اليوم:

يقولون: (لا إله إلا اللَّه) أي: لا حاكمية إلا للَّه، والحاكمية كما يسمونها جزء من معنى لا إله إلا اللَّه؛ لأن معناها شامل لكل أنواع العبادات.

فنقول لَهم: وأين بقية العبادات، أين الركوع والسجود والذبح والنذر، وبقية العبادات؟!

هل العبادة هي الحاكمية فقط إذا كان معناها عندكم الحاكمية فقط؟

وأين ما تنفيه من أنواع الشرك؟ يا سبحان اللَّه! ينبغي التنبه لِهذه الأمور؛ لأن هذه كلمة عظيمةٌ، هي الْمُنجية من النار لِمن حققها، وكل الدين ينبني عليها من أوله إِلَى آخره، ودعوة الرسل والكتب الْمُنزلة كلها مبنية على هذه الكلمة.

فاعلم أن هذه الألوهية هي الَّتِي تسميها العامة فِي زماننا: السر والولاية [١٢].

والإله معناه الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ [١٣].

وتسميه العامة: السيد وأشباه هذا [١٤].

وذلك أنَّهم يظنون أن اللَّه جعل لِخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم، ويرجوهم ويستغيث بِهم، ويَجعلهم واسطة بينه وبين اللَّه [١٥].

٥- تفسير أهل السنة والْجَماعة:

أن (لا إله إلا اللَّه) معناها: لا معبود بِحق إلا اللَّه، لأن الْمَعبودات كثيرة. ولكن الْمُعبود بِحق هو اللَّه وحده، وما سواه فعبادته باطلة كما قال اللَّه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

[١٢] أي: يعتقدونها فِي الأولياء، ويقولون: إن هذا الولي فيه سر وفيه ولاية، فيتقربون إليه بالذبح والنذر، والدعاء والاستغاثة؛ لأنه فيه سر وفيه ولاية.

[١٣] الصوفية يسمون العابد: الشيخ، يعني شيخ الطريقة الذي يأخذون عنه دينهم؛ والذي يأخذ عن شيخ الطريقة، يسمونه: الْمُريد، ويكون مع شيخه كالميت بين يدي الغاسل، ليس له أن يعترض بشيء.

[١٤] وهم يسمون شيخهم: السيد، ويسمونه: الشيخ، فلابد أن تبايعه وتسلم له أمرك، فلا تعترض ولا تُخالف فِي شيء، وإلا فإنك لا تكون مريدًا معه.

[١٥] **يقولون**: إن اللَّه جعل من الخلق خواصَّ يَجوز الالتجاء إليهم، ودعاؤهم والاستغاثة بِهم على أنَّهم شفعاء عنده ويقربون إليه، هذا الذي هم

فالذين يزعم أهل الشرك فِي زماننا أنَّهم وسائطهم هم الذين يسميهم الأولون الآلهة، والواسطة هو الإله [١٦]. فقول الرجل: (لا إله إلا اللَّه) إبطال للوسائط [١٧].

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ وقتلهم وأباح أموالَهم واستحل نساءهم كانوا مقرِّين للَّه سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه

عليه، لا يقولون: إنهم شركاء للَّه.

بل يقولون: شفعاء عنده ويقربون إليه؛ لأن اللَّه اختارهم لصلاحهم وتقواهم، فصاروا وسائط بين العباد وبين اللَّه -تعالى اللَّه عما يقولون- ولذلك يتقربون إليهم بالعبادات أحياءً وأمواتًا.

ويقولون: إن الْمُتقرب إليهم مثل المتقرب إِلَى اللَّه، من يتقرب للشيخ يتقرب للَّه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] لعب الشيطان بِهم إِلَى هذا الْحَد.

[١٦] الْمُشركون الأولون يعبدونهم ويسمونهم آلهة، ولذلك لَمَّا قال لَهم رسول اللَّه ﷺ قولوا: «لا إله إلا اللَّه» قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ إِلَى قول: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٥-٦]، سموها آلهة ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]. الأولون سموهم آلهة، والْمُتأخرون الذين يدعون الإسلام سموهم وسائط وشفعاء فقط، ولَم يسموهم آلهة، والْمَعنى واحد وإن اختلف اللفظ؛ لأن العبرة بالحقائق، وليست العبرة بالألفاظ والمصطلحات.

[١٧] (لا إله إلا اللَّه) تبطل كل ما يُعبد من دون اللَّه سواءً سُمِّي واسطة أو شفيعًا، أو سُمي آلهة، فلا إله إلا اللَّه تبطل كل ما يُعبد من دون اللَّه بأي اسم سمي.

لا يَخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يُميت ولا يدبر الأمور إلا اللَّه وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] [١٨].

وهذه مسألة عظيمة جليلة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ شاهدون بِهذا كله ومقرُّون به، ومع هذا لَمْ يُدخلهم ذلك فِي الإسلام، ولَم يُحَرِّم دماءهم ولا أموالَهم، وكانوا أيضًا يتصدقون ويَحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من الْمُحرمات خوفًا من اللَّه عز وجل [١٩].

ولكن الأمر الثاني هو الذي كَفَّرهم وأحلَّ دماءهم وأموالَهم، وهو أنهم لَمْ يشهدوا للَّه بتوحيد الألوهية [٢٠].

---

[١٨] عباد القبور الآن يقولون: ما دام أنه اعترف أن اللَّه هو الخالق الرازق المحيي الْمُميت الْمُدبر، فإنه مسلم، إذن ما معنى (لا إله إلا اللَّه)؟! ليس لها معنى عندهم؛ لأن الْمُشركين يقولون هذا الذي يقوله هؤلاء.

[١٩] هي مسألة عظيمة ومهمة جدًّا، وقلَّ من يعتني بها؛ لأن هؤلاء يقولون: من أقر بتوحيد الربوبية صار مسلمًا.

وكان الْمُشركون فِي الجاهلية يقرون بتوحيد الربوبية، وعندهم عبادات كالصدقة والحج، فهم يَحجون ويعتمرون ويقولون: لا يَخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يُميت إلا اللَّه، يعترفون بتوحيد الربوبية، ويتعبدون ببعض العبادات، ولكن لَمَّا كانوا لا يُخلصون العبادة للَّه وَحْدَه، بل يعبدون اللَّه ويعبدون معه غيره صاروا مشركين.

[٢٠] لأن هذا هو الْمَطلوب وهو توحيد الألوهية، أي: إفراد اللَّه بالعبادة، وليس المطلوب إفراد اللَّه بتوحيد الربوبية فقط، لابد من الأمرين، لابد من

وتوحيد الألوهية: وهو ألَّا يُدعى ولا يُرجى إلا اللَّه وحده لا شريك له [٢١].

ولا يُستغاث بغيره ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا لِملَكٍ مقرَّب ولا نبِي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك [٢٢].

وتَمام هذا: أن تعرف أن الْمُشركين الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ، كانوا يَدعون الصالِحين مثل الْمَلائكة وعيسى وأمه وعزيرًا، وغيرهم من الأولياء، فكفروا بِهذا مع إقرارهم بأن اللَّه سبحانه هو الْخَالق الرازق الْمُدبر [٢٣].

توحيد الربوبية، وهو مستلزم لتوحيد الألوهية، ولابد من توحيد الألوهية، وهو متضمن لتوحيد الربوبية، لا ينفك بعضهما عن بعض.

[٢١] أي: وتوحيد الألوهية يتضمن جميع العبادات، فلا يُصرف لغير اللَّه ﷻ منها شيء؛ لأنه هو الْمُستحق لِهَا، فمن صرف منها شيئًا لغير اللَّه، فإنه مشرك ولو كان يقول: لا إله إلا اللَّه، بل لو كان يعبد اللَّه بأنواع من العبادات، ما دام لَم يُخلص للَّه فيها كلها، فليس بِمسلم.

[٢٢] أي: من فَعَل ذلك فإنه يكفر ولو كان يقول: لا إله إلا اللَّه؛ لأنه لَم يُحققها فهو متناقض، كيف يقول: (لا إله إلا اللَّه) ويذبح لغيره؟! كيف يقول: (لا إله إلا اللَّه) ويستغيث بغير اللَّه من الأموات والغائبين والجن والشياطين؟!! كيف يقول: (لا إله إلا اللَّه) وينذر لغير اللَّه؟!! هذا تناقض.

[٢٣] الْمُشركون الأولون ليسوا كلهم يعبدون الأصنام، فهم متفرقون فِي عبادتهم، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الْمَلائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالِحين، والرسول ﷺ قاتلهم كلهم ولَم يفرق بينهم، ولَم يقل: ما أقاتل إلا الذي يعبد الأصنام، ويترك الذين يعبدون عُزيرًا ويعبدون الْمَسيح، ويعبدون الصالِحين، ما فرق بينهم الرسول ﷺ.

وهؤلاء القبوريون اليوم يقولون: الشرك عبادة الأصنام، وعبادة الأولياء

إذا عرفت هذا عرفت معنى (لا إله إلا اللَّه) وعرفت أن من نَخَّى نبيًّا أو ملكًا أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول اللَّه ﷺ.

فإن قال قائل من الْمُشركين: نَحن نعرف أن اللَّه هو الخالق الرازق الْمُدبر، لكن هؤلاء الصالِحون مقربون، ونَحن ندعوهم وننذر لَهم وندخل عليهم ونستغيث بِهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن اللَّه هو الخالق الرازق الْمُدبر، فقل: كلامك هذا مذهب أبِي جهل وأمثاله [٢٤].

فإنهم يدعون عيسى وعزيرًا والْمَلائكة والأولياء، يريدون بذلك كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] [٢٥].

تقرُّب إلَى اللَّه وتوسل إلَى اللَّه، ليست بشرك؛ لأن الشرك عبادة الأصنام فقط، يا سبحان اللَّه! الرسول قاتل الْجَميع: الذين يعبدون الأصنام، والذين يعبدون الْمَلائكة، والذين يعبدون الْمَسيح، والذين يعبدون عُزيرًا، والذين يعبدون الأولياء والصالِحين، لَمْ يفرق بينهم؛ لأنه ليس بينهم فرق فِي الحقيقة.

[٢٤] الشيخ يُخاطب العلماء والعوام، ومعنى «نخاه» فِي العامية، أي: استنجد به.

يقال لِمن ينفي أن دعاء الصالِحين شرك، ويقول: الْمُراد به التوسل بِهم إلَى اللَّه، يقال له: كلامك هذا هو مذهب أبِي جهل وأبِي لهب وأمثالهم؛ لأنَّهم يقولون: لا يَخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يدبر إلا اللَّه، ونَحن نتخذ هذه الآلهة لتقرِّبنا إلَى اللَّه زلفى، كما قال اللَّه عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

[٢٥] الْمُشركون الأولون يريدون مِمَّن يعبدونهم مع اللَّه التوسط لَهم فقط.

فإذا تأملت هذا تأملًا جيدًا، وعرفت أن الكفار يشهدون للَّه بتوحيد الربوبية، وهو تفرُّده بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينخون عيسى والْمَلائكة والأولياء يقصدون أنَّهم يقربوهم إِلَى اللَّه زلفى، ويشفعون لَهم عنده، وعرفت أن من الكفار -خصوصًا النصارى منهم- من يعبد اللَّه الليل والنهار، ويزهد فِي الدنيا ويتصدق بِمَا دخل عليه منها، معتزلًا فِي صومعة عن الناس [٢٦]. وهو مع هذا كافر عدو للَّه مُخلَّد فِي النار بسبب اعتقاده فِي عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه أو يذبح له أو ينذر له، تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك مُحَمَّد ﷺ، وتبين لك أن كثيرًا من الناس عنه بِمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»(١) [٢٧].

لا يقولون: إنهم يَخلقون ويرزقون، وإنَّما يقولون: إن هؤلاء شفعاء لنا عند اللَّه، يقولون: إن هذا تعظيم للَّه.

[٢٦] الرهبان من النصارى يتعبدون الليل والنهار ويبكون، ولكن يقولون: الْمَسيح ابن اللَّه، أو إن اللَّه هو الْمَسيح بن مريم، أو ثالث ثلاثة، وهم يبكون ويتعبدون، ولا ينفعهم هذا؛ لأنَّهم ما أخلصوا العبادة للَّه ﷻ، فمثلهم عبَّاد القبور اليوم.

[٢٧] الإسلام الصحيح غريب اليوم، أما الإسلام الْمُدَّعى، فالمسلمون اليوم يزيدون على المليار، ولكن الإسلام الصحيح غريب، إذ لو كان هذا الْمِليار إسلامهم صحيحًا لَمْ يقف أمامهم أحد من العالَم!! فاليهود الذين هم إخوان القردة والخنازير الذين ضُربت عليهم الذلة والْمَسكنة، الآن هم مسيطرون على بلاد المسلمين، والمسلمون الذين كانوا مع النَّبِي ﷺ فِي بدر

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٠)، وابن وضاح القرطبِي فِي «البدع والنهي عنها»: (٦٥) بإسناد ضعيف، وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد (١٦٠٤) يتقوى به.

فاللَّه اللَّه يا إخواني، تَمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره، وأُسُّه ورأسه شهادة أن لا إله إلا اللَّه، واعرفوا معناها، وأحبوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم، أو لَمْ يكفرهم، أو قال: ما عليَّ منهم، أو قال: ما كلفني اللَّه بِهم، فقد كذب هذا على اللَّه وافترى، فقد كلفه اللَّه تعالى بِهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

فاللَّه اللَّه يا إخواني، تَمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئًا، اللَّهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالِحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها اللَّه تعالى فِي كتابه تُبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ [٢٨].

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، فقد ذكر اللَّه عن الكفار أنَّهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحدًا منهم، ولَم يستغيثوا به، بل

كان عددهم ثلثمائة وبضعة عشر، وماذا صنعوا؟ فالصحابة بالنسبة لأهل الأرض كم هم؟ ومع هذا هم فتحوا الأمصار، وأسقطوا كسرى وقيصر، وسادوا العالَم كله؛ لأنَّهم مسلمون الإسلام الصحيح، ما هو إسلام ادِّعائي.

[٢٨] كفر أهل زماننا أعظم من كفر الْمُشركين الأولين، أعظم من كفر أبِي جهل وأبِي لهب! لأن الْمُشركين الأولين يشركون فِي الرخاء ويُخلصون فِي الشدة؛ لأنَّهم يعلمون أنه لا يُخلِّص من الشدة إلا اللَّه، أما مشركو زماننا فهم فِي الشدة أكثر شركًا منهم فِي الرخاء، إذا وقعوا فِي الشدة يُنادون معبوداتهم، كلٌّ ينادي معبوده ليخلصه من الغرق فِي البحر، يُخلصه من كذا، كلما زاد الخطر زاد الشرك عندهم، فهم أشد من الْمُشركين الأولين والعياذ باللَّه.

يُخلصون للَّه وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى الْمُشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدَّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير اللَّه مثل: معروف أو عبد القادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الْخَطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول اللَّه ﷺ، فاللَّه الْمُستعان، وأعظم من ذلك وأطم أنَّهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والْمَردة مثل شمسان وإدريس ويُقال له: الأشقر، ويوسف وأمثالهم، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم.

والْحَمد للَّه أولًا وآخرًا، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين ... آمين [٢٩].

* * *

[٢٩] (معروف) هو معروف الكرخي من الأولياء الْمَعروفين فِي العراق، يعبده القبوريون، و(عبد القادر الجيلاني) إمام من أئمة الحنابلة القدماء، فهو إمام جليل، ولكن لَمَّا مات اعتقدوا أنه ينفع ويضر، فبنوا على قبره، والصوفية اتَّخذوه إمامًا للمتصوفة أصحاب طريقة يسمونهم القادرية، وهو بريءٌ منهم رحمه الله، فهو معروف بالصلاح والاستقامة والعلم والتقى، كان من أكابر أصحاب مذهب الإمام أحمد، وله فيه مؤلف معروف اسمه: الغنية.

(وزيد بن الْخَطاب) صحابي جليل، وهو أخو عمر بن الْخَطاب رضي الله عنهما، وقُتل فِي اليمامة وقبر فيها وكان عليه قبة، فلما جاء الشيخ مُحَمَّد رحمه الله هدم هذه القبة ولَم تقم إِلَى الآن -والْحَمد للَّه- ولن تقوم -إن شاء اللَّه-.

(والزبير بن العوام) رضي الله عنه، حَواريُّ رسول اللَّه ﷺ، وهؤلاء الأولياء والصحابة يعبدهم القبوريون، ولكنهم لَمْ يكتفوا بعبادتهم، بل عبدوا الطواغيت والكفرة والْمَردَةَ من السَّحرة والكَهَنة، والإباحيين والحلوليين، الذين يقولون: من ترك الأوامر والنواهي فهو مقرب من اللَّه، وليس بِحاجة

....

للأوامر والنواهي، وإنَّما هي للعوام فقط، أما هو فوصل إِلَى اللَّه ولا يَحتاج إِلَى شيء.

(وشمسان وإدريس ويوسف) هؤلاء طواغيت كانوا فِي الرياض قبل ظهور دعوة الشيخ، فلما جاء الشيخ وقام بالجهاد فِي سبيل اللَّه، واستولى المسلمون على الرياض أزالوا هذه الوثنيات منها ومن غيرها، والْحَمد للَّه.

* * *

الأسئلة

*** سؤال: فضيلة الشيخ، ما صحة قول: لا معبود بِحق فِي الوجود إلا اللَّه؟**

الجواب: يكفي: لا معبود بِحق، عن قوله: فِي الوجود.

*** سؤال: فضيلة الشيخ، نسمع كثيرًا ما يسمى بالإعجاز العلمي فِي القرآن فهل يَجوز إلحاقُه بِمعجزات القرآن، وتنزيل آيات القرآن على تلك المسائل؟**

الجواب: نَحن تكلمنا على هذا أكثر من مرة ونبهنا عليه، قلنا: لا يَجوز تفسير كلام اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إلا بأصول التفسير المعروفة: بأن يُفسَّر القرآن بالقرآن، ويُفسَّر بالسنة، ويُفسر بتفسير الصحابة، وتفسير التابعين، ولا يُزاد على هذا، فلا يُفسر بالنظريات الْحَديثة؛ لأنها تُخطئ وتصيب، وهي كلام بشر وعمل بشر، فلا نَجعلها تفسيرًا لكلام اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، ولا نقول: هذا هو مراد اللَّه بهذه الآية، هذا قول على اللَّه بلا علم، تعالَى اللَّه عن ذلك.

وكم من نظرية كانت مسلَّمةً فِي يوم، وبعد مدة يسيرة صارت خاطئة وكاذبة، وجاءت نظرية غيرها ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]. فلا يَجوز أن نفسِّر القرآن بهذه الأشياء، ولا أن نقول: هذا من الإعجاز العلمي.

*** سؤال: فضيلة الشيخ، من يُخطِّئ الرسول ﷺ هل يكفر أم يُنظر فِي أمره؟**

الجواب: من يُخطئ الرسول ﷺ، فهو كافر؛ لأنه جاحد لنبوته.

*** سؤال: من يُحب زوجته الكتابية، هل هذا مُخالف للولاء والبراء؟**

الجواب: اللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الْمَائدة: ٥١] أي: لا تُحبوهم وتوالوهم وتناصروهم، وأما الزواج منهم فهو تعامل دنيوي، ليس هو تعاملًا دينيًا، مثل ما تبيع معهم وتشتري، والْمَحبة بين الزوجين مَحبة طبيعية ما هي مَحبة دينية، هو لا يُحبها لأجل دينها، ولكنه يُحبها من أجل الزوجية.

*** سؤال: فضيلة الشيخ، ما أسباب تعلق هؤلاء الناس بالقبور والأضرحة وطلب الإعانات وشفاء الْمَرضى، ما السبب فِي ذلك يا شيخ؟**

الجواب: السبب فِي هذا:

أولًا: التقليد الأعمى؛ لأنهم يَجدون من يفعلون هذه الأفعال، فيقلدونهم.

وثانيًا: سكوت العلماء عن النهي عن ذلك، وهذا كتمان للعلم، وتقصير فِي الدعوة إِلَى اللَّه عز وجل، وهم مسئولون عن ذلك.

ثالثًا: دعاة السوء، ودعاة الضلال الذين يروجون هذه الشِّركيات والبدعيات، ويُحسِّنونها للناس فِي كلامهم ومؤلفاتهم. فمجموع هذه الأمور يَحصل به هذا الخلل العظيم فِي العقيدة.

*** سؤال: ما حكم الاحتفال بالمولد النبوي؟ نرجو التوضيح، والإجابة الصحيحة حول ذلك.**

الجواب: هذه المسألة تكلم فيها العلماء قديمًا وحديثًا، ونهوا عنها وحذروا منها؛ لأنها بدعة، فالاحتفال بِمناسبة المولد النبوي بدعة ما أنزل اللَّه بِهَا من سلطان؛ لأنه ليس فِي كتاب اللَّه، ولا فِي سنة رسول اللَّه ﷺ، ولا فِي عمل القرون الْمُفضَّلة دليل على الاحتفال بالمولد النبوي، وما كان كذلك فهو بدعة، وإنَّما حدث الاحتفال بالمولد النبوي بعد القرون الْمُفضلة، بعد الْمِائة الرابعة من الْهِجرة لَمَّا انتهت القرون الَّتِي أثنى عليها

رسول اللَّه ﷺ، وأخبر أنَّها يأتي بعدها أناس يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ومن ذلك أنَّهم أحدثوا هذه البدعة فِي دين اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

*** سؤال: ما حكم الصلاة فِي مسجد دخل فِي بنائه أموال مأخوذة من أناس بغير طيبة أنفسهم، وما هو الحل لِهذه الْمُشكلة مأجورين؟**

الجواب: لا يَجوز بناء الْمَساجد بالْمَال الحرام، ولا يَجوز استخدام الْمَال الحرام للمسلمين لا أكلًا، ولا شربًا، ولا لباسًا، ولا سكنى، ومن باب أولى الْمَساجد الَّتِي هي بيوت اللَّه، فإن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طيب ولا يقبل إلا طيبًا، والْمَال الْمُغصوب حرام، لقوله ﷺ: «**لا يَحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه**»(١)، وفِي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وإذا بُني مسجد من الْمَال الْمَغصوب، فإن الحل فِي ذلك -فِي نظري- أن ينظر مقدار الْمَال الْمَغصوب فيُرد على صاحبه.

*** سؤال: هل يَجوز الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة؟**

الجواب: الأحاديث الضعيفة تَختلف إذا كانت ضعيفة شديدة الضعف، فإنها لا يُستشهد بها، أما إذا كان ضعفها ليس شديدًا، أو كان لَها ما يشهد لَها من الأحاديث الأخرى، فإنها يُستشهد بها فِي فضائل الأعمال، ولا يؤسس بها أحكام شرعيْة، وإنَّما يُستشهد بها فِي الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٧٢)، والدارقطني (٣/ ٢٦)، والبيهقي فِي السنن الكبرى (٦/ ١٠٠) من حديث أبِي حَرَّة الرقاشي عن عمه.

نموذج من ضرب الأمثلة
على بطلان الشرك
من القرآن الكريم

من كلام الشارح في بعض دروسه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلَّى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

ضرب اللَّه -جل وعلا- مثلًا للموحِّد والْمُشرك، فقال ﷻ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩] الْمُشرك له عدة آلهة، يعبد أصنامًا كثيرة ولا يدري ماذا يُرضي منها، مثل الْمَملوك الذي له أسياد كثيرون يَملكونه، كل واحد يريده على ما يوافق هواه، وكل واحد له رغبة تُخالف رغبة الآخر، فيُصبح هذا الْمَملوك الْمِسكين مزعزعًا بين هؤلاء الشركاء، لا يدري من يُرضي منهم.

وأما الْمُوحد فهو مثل الذي يَملكه رجل واحد يعرف مطلوبه ويعرف هواه، فهو فِي راحة معه، ليس هو معه فِي نزاع ولا فِي شقاق ولا فِي تعب، هو رجل مَملوك لرجل واحد.

كذلك الْمُوحد هو عبد لرب واحد، وهو اللَّه ﷻ، يقوم بطاعته ويَجتنب معصيته ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ يعني: خالصًا لرجل، يَملكه رجل واحد، هل الْمَملوك الذي يَملكه عدة شركاء مثل الْمَملوك الذي يَملكه رجل واحد؟! لا... هذا مَثلٌ للمشرك....

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ الاستفهام للإنكار، لا يستوي هذا وهذا، وهذا أيضًا مَثَلٌ ضَرَبه اللَّه للشرك والتوحيد.

وضرب اللَّه مثلًا للشرك وبطلانه فِي قوله تعالَى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. الْمُوحد فِي رفعة مكانته وسمو منزلته مثل الذي فِي السماء مرتفع الْمَكانة سامي الْمَكانة عند اللَّه ﷻ، وأما الْمُشرك فإنه مَثَلُه مَثَل الذي يسقط من العلو، لَمَّا أشرك باللَّه سقط من الارتفاع الذي فيه أهل التوحيد، والسموّ الذي فيه أهل التوحيد، والْمَكانة الْمُرتفعة العالية الَّتِي فيها أهل التوحيد، الْمُشرك لَمَّا أشرك باللَّه سقط من مرتفَع بعيد الارتفاع.

ماذا تكون حاله فِي حالة السقوط والعياذ باللَّه؟ إما أن تعترضه جوارح الطير فتمزق لَحمه وتأكله فِي الهواء، وإما أن يسلم من الجوارح لكن الريح تَحمله وترمي به فِي مكان بعيد عن الإنس، وتلقيه فِي مكان خالٍ موحش ما فيه شراب ولا فيه شيء.

كذلك الْمُشرك هو عرضة لِهذه الأشياء، وهذه الأهواء، وهذه الْمَناهج، وهذه الْمَذاهب الَّتِي تقطعه وتشتِّته وتهلكه فِي النهاية.

فهذا مَثَلٌ للمؤمن ومَثَل للموحد، الْمُؤمن فِي علوٍّ وارتفاع وسمو عند اللَّه

-جل وعلا- لتوحيده وإخلاصه، والْمُشرك ساقط من العلو ساقط من التوحيد، مُعرَّض لكل هلاك ولكل ضلال، وهذه حال الْمُشركين والعياذ بالله، معرَّضين لكل بلاء ولكل هلاك ولكل هوى ولكل شيطان يتنازعهم كل بلاء، هل يستوي هذا وهذا؟!

ثُمَّ فِي آخر السورة ضرب الله مثلًا لبطلان الشرك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] جميع الأصنام وجميع المعبودات من دون الله، كلُّها لا تستطيع أن تَخلق الذباب، فكيف تُعبد من دون الله، وهي لا تستطيع أن تَخلق الذباب الذي هو أصغر شيء وأحقر شيء؟! ما طُلب منهم أن يَخلقوا بلدًا أو يَخلقوا جبلًا أو يَخلقوا إبلًا أو بقرًا أو آدميين، بل ذباب، أقل شيء!! هذا تعجيز من الله -جل وعلا- لآلِهة الْمُشركين، فإذا كانت لا تستطيع أن تَخلق الذباب فكيف تُعبد مع الخالق الذي هو خالق كل شيء ﷻ؟ الله خالق كل شيء، الخلَّاق العليم الذي لا يعجزه شيء، كيف يُقاس هذا بِهذا؟

فهذا مثل واضح لبطلان الشرك، وأنه لا مستند له، ولا أصل له ولا فرع، ﴿لَن يَخْلُقُواْ﴾ ولاحظوا كلمة (لن يَخلقوا) هذا للمستقبل إِلَى يوم القيامة، فالتعجيز مستمر إِلَى يوم القيامة، أيُّ مشرك يدعو غير الله يقال له: هل الذي تعبده يَخلق ذبابة؟

كل هذه الَّتِي يعبدون من الْمَعبودات والأصنام والتماثيل والأولياء والصالِحين والقبور والأشجار والأحجار، كلُّهم موجَّه إليهم هذا الْمَثل.

فما دام أنَّهم لا يقدرون على خلق الذباب فكيف يصلحون للعبادة؟!

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ﴾ [النحل: ٢٠-٢١]، ﴿أَرَءَيْتُم

شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

ما يستطيع الْمُشركون أن يقولوا: إن معبوداتهم خلقت ولو ذبابة، ولا يستطيعون هذا فِي الْمُستقبل، حَتَّى فِي زمان تقدم الصناعة الآن وتفنن الصناعة، ما يستطيع صنَّاع العالَم ومهرة العالَم وأطباء العالم أن يَخلقوا ذبابًا، يصنعون طيارة، يركِّبون بعضها فِي بعض، طائرة تَحمل الركاب، هذه صناعة مُمكنة يتعلمها الإنسان ويعرفها، واللَّه هو الذي سخرها لنا، وهو الذي ألهمنا أن نستعملها وأن نستخدمها رحمة بنا، يُمكن أن يصنع البشر طيارة ويصنعوا باخرة، لكن الْخَلق لا يَخلق ذبابة! لأن هذا من خصائص اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالعبادة إنَّما يستحقها الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. ثُمَّ قال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٧٣] الذباب الذي هو أضعف شيء لو يأخذ من هذا الصنم الذي يُعبد، لو يأخذ منه شيئًا مِمَّا يوضع عليه من الطيب أو من الذهب؛ لأنَّهم يضعون على هذه الْمَعبودات أشياء من الْحُلي ومن الذهب ومن الطيب والبخور، لو جاء الذباب وأخذ مِمَّا عليها شيئًا يسيرًا، هل تستطيع هذه الأصنام أن تسترد ما أخذه الذباب؟ لا تستطيع أن تنتصر لنفسها من الذباب: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو الْمشرك ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو الْمَعبود من دون اللَّه عَزَّوَجَلَّ، ذباب أعجز الْجَميع. فهذا من أعظم الأمثلة على بطلان الشرك باللَّه عَزَّوَجَلَّ.

يُمكن أن يقولوا: نَحن ما نقول: إن معبوداتنا تَخلق مع اللَّه، اللَّه هو الخالق وحده ونَحن نعترف بذلك، هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت الْمُدبر، نَحن نعتقد هذا، لكن هؤلاء عباد صالِحون ونريد منهم أن يشفعوا لنا

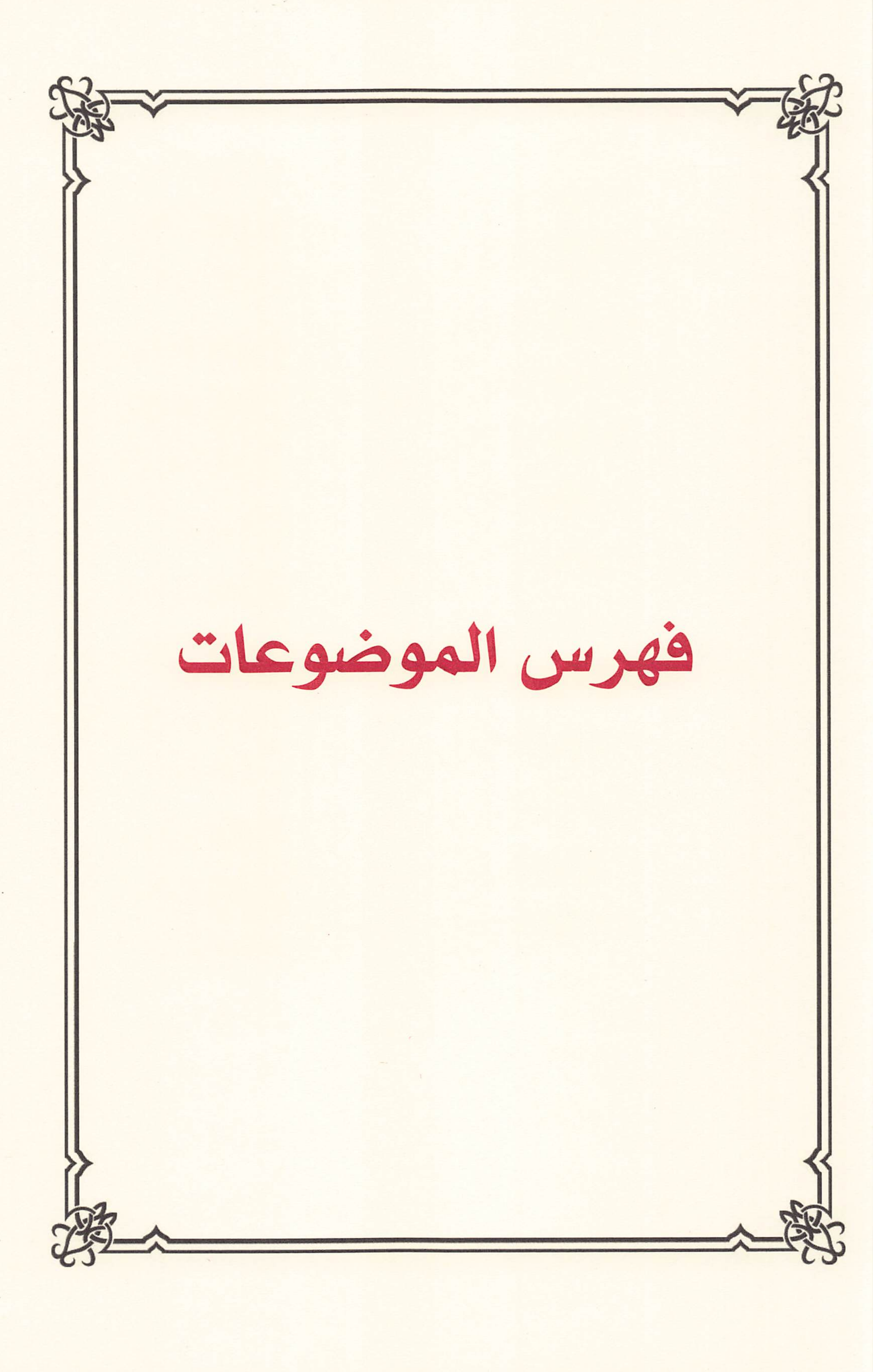
عند اللَّه، نتخذهم وسائل، فنحن نعبدهم من أجل أن يقربونا إِلَى اللَّه زلفى، وإلا نَحن نعلم أنَّهم ما يَخلقون ولا يرزقون، لكن لأنَّهم عباد صالِحون لَهم منزلة عند اللَّه نريد منهم أن يقربونا ويشفعوا لنا إِلَى اللَّه، أن يتوسطوا لنا عند اللَّه. ويذبَحون لَهم وينذرون لَهم ويطوفون بقبورهم ويعكفون عندها، ويصرفون لَهم العبادات، وهم يعترفون أنَّهم ما يَخلقون ولا يرزقون ولا يدبرون من الأمر شيئًا، وإنَّما يريدون منهم الوساطة عند اللَّه ﷻ.

اللَّه ﷻ أبطل هذا بالمثل: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨] فإذا كنتم لا ترضون أن يشارككم أحد عبيدكم، فكيف ترضون للَّه أن يشاركه عبدٌ من عبيده؟ فكيف تصفون اللَّه بِمَا تُنَزِّهون منه أنفسكم؟!!

وكانوا يقولون فِي تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تَملكه وما ملك) فضرب اللَّه لَهم هذا الْمثل.

وباللَّه التوفيق، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *



فهرس الموضوعات

فهرس شرح تفسير كلمة التوحيد

الموضوع	الصفحة

* * *


شرح
تفسير كلمة التوحيد
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى